خلق آدم

ويُخلَق آدم... وكلُّنا يعلم قصة خلق آدم. خلقه الله من طين، ثم نفخ فيه من روحه، فخلق منه حواء، وأمر الملائكة ومعهم إبليس بالسجود تحيةً له، إلا أن إبليس أبى واستكبر، ووسوس له بأن يأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها، ثم أخرجه ﷻ من الجنة بعدما أكل من الشجرة.

قصة آدم عليه السلام هذه قصة الإنسان، قصة تكوين البشرية.

الخلق الشكلي لآدم

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور: 45]، واختار الله أن نكون ممن يمشي على رجلين لا على بطنٍ ولا على أربعة أرجل، وهذه أول ميزة خصنا الله بها عن سائر مخلوقاته، فإن هامتك مرفوعة، أنت مهيَّأ لتقود الأرض، من أجل ذلك عندما ترفع رأسك من الركوع والسجود تشكر الله وتحمده على أن هامتك مرفوعة فهو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ [الانفطار: 7]، أنت مخلوق مكرَّم، فلا تذل نفسك أو تنكسها. يديك حرة، لماذا؟ لتصنع وتبدع، لأنك

أنت من سيقود الأرض. فأين إبداعاتكم؟ أين إنتاج أيديكم؟

ورد في القرآن الكريم آيات في خلق آدم منها: أن بداية خلق آدم كان من تراب، وفي آية من طين، وفي آية أخرى من طين لازب، وفي آية من صلصال من حمإٍ مسنون، وغيرها من صلصال كالفخار.

والحقيقة أن آدم خُلِق على مراحل، خُلِق من كل هذه الأشياء. فلم يكن خلق آدم: كن فيكون، خُلِق آدم على سبع مراحل، كل مرحلة تسلِّم مرحلة.

* **المرحلة الأولى**: من تراب.

«خلق الله آدم من قبضة قبضها من جميع تراب الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود، وجاء منهم السهل والحَزَن والخبيث والطيب»[1]. رواه الترمذي. أترى التحليل النفسي لبني آدم مع الجيولوجيا، كلام الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلّا وحيٌ يوحى.

وتعلم أنك لو أخذت قطعةً من جلد لبني آدم، وقبضة من التراب وحللتها كيميائياً لرأيتها تتكون من نفس العناصر، اثنان وتسعون عنصر هنا، واثنان وتسعون عنصر هنا، ما يميز بينهما النسب فقط. ولذلك سمي آدم: بآدم؛ لأنه من أديم الأرض.

---

(1) أخرجه **أبو داود** في (الحديث: 4693)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2955)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 4/ 400)، و(الحديث: 6/ 406).

أنت ضعيف يابن آدم، أنت من تراب، من أجل ذلك أقول لك: اخضع له، تذلل له في كل ساعة، من يتخيل أن التراب سيتكلم، وسيصعد إلى السماء؟

حديث قدسي: «**من تواضع لي هكذا**» وجعل النبيّ ﷺ يخفض يده إلى الأرض: «**رفعته هكذا**»[1]، وجعل النبيّ يرفع يده إلى السماء، اخضع وتذلل لله ﷻ.

يقول النبيّ ﷺ: «**يا عائشة، لو شئت لسارت معي جبال الذهب**»، قالت: ولمَ لا يا رسول الله؟ قال: «**يا عائشة، قد جاءني ملك فقال لي: يا محمد، ربك يقرئك السلام، ويقول لك: إن شئت ملِكاً نبياً وإن شئت عبداً نبياً، فنظرت إلى جبريل، فأشار إليّ أن تواضع، فقلت: بل عبداً نبياً**»[2]. صلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والخضوع هذا ليس بالشكل، بل بالنفس، من أجل ذلك، فأول تركيبة أنت منها: أنك ضعيف، تراب يقول لله: لا لن أصلي؟ تراب يقول لله: لا لن أضع الحجاب، تراب يقول لله: لا لن أطيعك؟ تراب؟!

* **المرحلة الثانية**: من طين.

دُمِج التراب بالماء فأصبح طيناً، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 1/ 44).

(2) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 2/ 231)، أخرجه البغوي في «السنة» (الحديث: 5/ 95).

خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ [صٓ: 71]، أتعلم سر خلقك من تراب وماء؟ لماذا ليس حديد وزيت؟ أو مطاط؟ ذلك لأن التراب والماء أطهر عنصرين على وجه الأرض، فأنت تتوضأ بالماء ، وتتيمَّم بالتراب، كأن الله يريد أن يقول لك: أنت طاهر يا إنسان.

الذي ينظر إلى مشاهد دنيئة على محطات التلفزة ينجِّس الطهارة، الذي يتكلم بألفاظ بذيئة ينجس الطهارة، الذي يزني ينجِّس الطهارة، مع أن معدنك من الداخل طاهر، تخيل. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: 54]، والماء رمز الصفاء، فما العلاقة بين الماء والأزواج؟! ذلك لأن الماء رمز الصفاء. والمؤمن لين هين سهل.

ولذلك إبليس كان غبياً عندما قال: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [صٓ: 76]، فالنار تُتلِف وتُهلِك، والطين رمز الصفاء والنماء، النار رمز الطيش والحدة، والطين السكون والثبات. فالنار مهما كان فيها من منفعة، فالشر كامن فيها. أنت تخشى أن تنام والنار مضاءة في بيتك، لكن الطين كله خير والأصل فيه المنفعة، أنت طاهر، أنت صافٍ، أنت معدنك خير، أبوك آدم طينته كلها خير. ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14]، أنت ضعيف نعم، لكن كلك خير.

* **المرحلة الثالثة:** طين لازب.

دُمِج التراب مع الماء، فأصبح طيناً، فتُرِك حتى جفَّ فأصبح طيناً لازباً، ولازب يعني: متماسك، فالأصل بك التماسك.

* **المرحلة الرابعة**: الصلصال.

والمراحل تلك مجتمعة أدَّت إلى مرحلة الصلصال هذه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرحمٰن: 14]، فهل تتخيل، الطين يصبح صلصالاً، لا إله إلا الله.

* **المرحلة الخامسة**: صلصال من حمأ مسنون.

قال تعالى: ﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: 28]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر: 26]، تُرِك الصلصال قليلاً حتى تغير بسبب عوامل التعرية فتغيرت رائحته، وكذلك لونه، فالخير الذي في الطين دخل عليه عوامل أخرى بعيدة عن الخير، كالغرائز، والشهوات البشرية.

* **المرحلة السادسة**: صلصال كالفخار.

قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرحمٰن: 14]، وهنا تحول الصلصال في هذه المرحلة إلى عملية تجويف، تراب مع ماء أصبح طيناً، ترك الطين قليلاً فأصبح طيناً لازباً، ثم تحول إلى صلصال، دخلت عليه الشهوات فتحول إلى صلصال من حمإٍ مسنون، حصل به تجويف فأصبح صلصال كالفخار.

اتصدِّق أن الفخار سيتكلم؟ اتصدق أن الطين سيخترع؟ اتصدق أن الصلصال سيصل الى القمر؟ سيفكر، سيبدع؟ انكسر، تذلل، اخشع لله، أما لان قلبك بعد؟

يقول أحد التابعين: طرقت أبواباً إلى الله فوجدتها ملأى،

كذلك كل باب طرقته، إلا باب الانكسار إلى الله وجدته فارغاً فدخلته فقلت: هلموا من هذا الباب تسبقوا الجميع.

* **المرحلة السابعة والأخيرة:** نفخ الروح في آدم.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: 29]، نفخة واحدة، وفجأة بعد هذه النفخة، ينطلق الدم ويجري في العروق، والقلب ينبض، والعيون ترى، واليدين تتحرك، والوجه يبتسم، ولولا هذه النفخة لكنت كأي جماد موجود في هذا الكون، ولم يَرِدْ أن الله نفخ من روحه هذه النفخة إلا في آدم، لا في الجان ولا الملائكة ولا أحد، لماذا؟ من المؤكد أنك مكلفٌ بمهمة ستعرفها فيما بعد عندما نأتي للذكر عن مهامك في هذه الحياة.

انظر حب الله إليك، انظر تكريم الله إليك: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: 29]، هذه الآية فيها ثلاث تكريمات: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾، هذه تكريمة، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾، هذه الثانية، ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، هذه الثالثة.

انظر هذا التكريم، انظر هذه الرحمة، أصبحت أنت يابن آدم، صناعات واكتشافات وهذا وذاك؛ كل ذلك من نفخة واحدة من الله سبحانه وتعالى. وذكر أنّ أول ما دخلت هذه النفخة، دخلت من رأسه فعطس...

يابن آدم لا تنجّس الطهارة التي خلقك الله عليها، فقارن بين الحمد الذي أنت مأمور به وبين الحالة التي أنت عليها الآن.

أيها المخلوق الغالي، عُد الى مولاك، مولاك يناديك، بالليل والنهار.

اسمع حديث النبيّ ﷺ: **«ما من يوم إلا ويستأذن البحر ربه يقول: يا رب ائذن لي أغرق ابن آدم فإنه أكل من رزقك وعبد غيرك، وتقول الأرض: يا رب، ائذن لي أن أبتلع ابن آدم فإنه أكل من رزقك وعبد غيرك، وتقول السمٰوات: يا رب، ائذن لي أن أطبق على ابن آدم، فإنه أكل رزقك وعبد غيرك، فيقول الله تبارك وتعالى: دعوهم لو خلقتموهم لرحمتموهم»**.

انظر لرحمة الخالق العظيم سبحانه وتعالى.

وفي الأثر: قال الله لداود عليه السلام: **«يا داود: لو يعلم المدبرون عني شوقي لعودتهم لذابوا شوقاً إليّ، يا داود، هذه رغبتي بالمدبرين عني فكيف محبتي للمقبلين علي»**[1].

وفي الحديث القدسي: **«يابن آدم خلقتك بيدي، وربيتك بنعمتي، وأنت تخالفني وتعصاني، فإن رجعت إليّ تبتُ عليك، فمن أين تجد رباً مثلي، وأنا الغفور الرحيم»**[2].

وكذلك حديث: **«يا عبادي، كلُّكم ضالّ إلا من هديته، فاستهدوني أهدِكم، كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسِكم، كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم»**[3].

إن قصة آدم عليه السلام هي قصة كل واحد منا، فرجاءً أن تأخذوا منها العِبر والعظات التي تساعدكم على السير في منهجه تعالى الذي لا خير إلا في صراطه. ولذلك قصة آدم تكررت في القرآن خمسة وعشرون مرة.

---

(1) ذكره السيوطي في «الجامع الكبير» (2/ 662).

(2) ذكره الهندي في «كنز العمال» (الحديث: 15803).

(3) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2495).

هل تعلم لماذا؟ هي ليست عملية تكرار فقط، بل لأنها قصة الحاضر والمستقبل إلى يوم القيامة.

لذلك فحين تَرِدُ لفظة «يا بني آدم» في القرآن، لا بد وأن تُذكر لك قصة آدم؛ لأنها قصة البشر كلهم.

كنَّا قد تكلمنا عن مراحل خلق آدم. وبيّنا أنها كانت على سبع مراحل، والسمٰوات والأرض خُلِقت أيضاً في سبعة أيام.

ألا تلاحظ شيئاً؟ من الممكن أن يسأل أحد، لماذا لم يكن الخلق كن فيكون؟ مع أن الظاهر أن ذلك فيه إعجاز أكبر.

لأن الله يريد أن يعلمك أن هذا الكون مخلوق على أساس مبدأ وهو: التدرج.

والتدرج هذا سُنَّة من السُنن الأصلية، لا شيء يحصل هكذا فجأة دون مروره بعدة مراحل.

يا من تطلب نهضة بين ليلةٍ وضحاها، هذا الكون خلق في ستة أيام وآدم خُلِق على مراحل، كان المعنى الذي أراده الله لنا هنا هو: تعلم الصبر والحلم.

كيان آدم وتركيبته الداخلية

بعد نفخ الروح في آدم..

تعال انظر معي وتخيل معنًى مهماً جداً، الملائكة مخلوقة من نور، والجان مخلوق من نار. أما أنت فمخلوق من مادتين: جسد ألا وهو تكوينة الطين التي تحدثنا عنها، وداخل هذا الجسد تجويف تسللت إليه تلك التي تُسمَّى: بالروح. فأنت جسد وروح. فانظر إلى تلاقي هاتين النقطتين! الجسد الذي منبعه التراب وهو من أديم الأرض، والروح وهي نفخة علوية من السماء. وكل نقطة مشتاقة للجهة التي أتت منها. فالجسد يحن دائماً إلى الأرض لأنه مخلوق منها، والروح تحن دائماً إلى خالقها.. فأنت حينما تموت تنزل إلى الأرض بجسدك والروح تصعد إلى خالقها.

تركيبة عجيبة! سبحان الله المبدع الذي يخلق ما يشاء.

ولكل واحد من الاثنين: الجسد والروح غذاؤه.. وغذاؤه يأتي من منبع خلقه.. الجسد غذاؤه من الأرض، والروح غذاؤها ركعتين في جوف الليل، جلسة علم، صيام رمضان، نفحات إيمانية.. والمطلوب أن تغذي الاثنين؛ لأنك منهما، لا أن تغذي إحداهما وتهمل الآخرى، فيحصل اختلال في تركيبتك.

فأنت لو تركت نفسك بلا طعام لمدة معينة من الزمن، سوف تموت حتماً.. كذلك إن لم تغذ الروح فإنك ستموت ولكن ببطء، يأتيك تعب نفسي، قلق، انهيار عصبي.. فأنت بإطعامك الجسد، ثم الجسد، ثم الجسد، الروح تصرخ، ولولا أنها محبوسة داخله، لتراها تريد أن تقول: أرجعني إلى خالقي أريد غذائي.

إذا عشت لجسدك فقط فأنت بذلك تمزق هذه الرسالة الرقيقة

التي تعيش في داخلك ألا وهي الروح. يا من عشت لجسدك وحبست روحك انظر إليها تراها هرمت وكبرت.. ترى نفسك شاباً ولكن روحك ميتة؛ لأنك لم تطعمها وتعطها دواءها.

انظر قول الله تعالى في هذا المضمار: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: 1 ـ 8]، نعيم ماذا؟ نعيم الجسد، نعم.. هل أفادك نعيم الجسد، ولماذا قال: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾؟، ذلك لأن نهاية الجسد أين؟ في المقابر طبعاً.

لذا فأنت من مادتين، ووجب عليك أن توازن بين الاثنين. ونحن نغذي أجسادنا أحَد عشر شهراً في السنة، فتعالوا نغذي أرواحنا في شهر رمضان.

فأنت لو عشت لجسدك فقط أصبحت كالحيوان وأنت لست كذلك. ولو عشت لروحك فقط أصبحت كالملاك وأنت لست كذلك. فأنت من الاثنين.

أرجوك، تفكَّر في هذا المعنى وافهمه جيداً. أنت تجمع بين الاثنين، من أجل ذلك سجدت الملائكة لأبيك آدم، وهم لا يملكون الاثنين.

الروح سر من أسرار الله تبارك وتعالى

ما هي الروح؟ قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء: 85]، أين

الروح؟ كيف دخلت؟ لماذا لم يعرف الأطباء الوصول إليها عبر «المايكروسكوب؟» لأنها نفخة من الله سبحانه وتعالى.. وسر من أسراره ﷻ، وهي تملك صفة، ما هي؟ أنها ليست ملكك.. إنها ملك الله ﷻ، قد تقول: أنا كُلِّي لله ﷻ، أقول لك: نعم، لكن جسدك يظل معك باستمرار إلى يوم القيامة لكن الروح لا. فهي تفارقك لتذهب إلى خالقها كل يوم.

ألا تسمع حديث النبيّ في الدعاء قبل النوم يقول: «**باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه، ربي إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**»[1].

والله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: 42].

والنبيّ ﷺ حين يستيقظ من النوم كان يدعو بهذا الدعاء: «**الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور**»[2].

قد تقول لي: لن أنام، بل ستنام شئت أم أبيت، لأن قلّة النوم ـ أو عدمه ـ تصيبك بانهيار عصبيّ، الروح سر من أسرار الله تعالى لا يمكن أن يُقهَر أبداً. لذلك ترى الشيطان يزين لك المعصية في الليل.. فهو يدري أن روحك تصعد إلى السماء في كل ليلة، ولا يدري إن كانت ستعود أم لا، لذا فهو يريدك أن تموت على المعصية. لذلك ترى الليل هو ألذ وقت للعصاة؛ لأن الشيطان يزين لهم أعمالهم في الليل حتى يلاقوا الله على المعاصي والذنوب والآثام.

---

(1) ذكره ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (الحديث: 704)، و(الحديث: 761).
(2) أخرجه مسلم في (الحديث: 6825).

لذلك كان الرسول ﷺ يقرأ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾» [الإخلاص: 1]، و«﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾» [الكافرون: 1]، ليجعلهم خواتيم يومه.. يا رب لا إله إلا أنت.

حُكِي لي عن شاب من عائلة غنية جداً.. يملك جميع مواصفات الشاب المترف، تقدَّم لخطبة فتاة لكن ظهر أن لديها مرض عضوي ألا وهو: (تلف كلوي)، فقال له أبواه: لا، فهذه محكوم عليها بالموت ولن تتزوجها. وأُلغيت الخطوبة وأُلغي كل شيء، وبعد ثلاثة أيام دخل والديه إلى غرفته وإذ به ميت على سريره.. والفتاة لا تزال حية حتى الآن.

إنها الروح. فالله هو الذي يتحكم بها فقط، لا المرض ولا أي شيء آخر.

وسأروي لكم قصة أخرى، فتاة من مصر لها من العمر سبعة وعشرون سنة. عقد قرانها بعد العيد، كانت تعمل معنا في مشروع صُنّاع الحياة في رمضان. أخذت الأمتعة كلها ووزعتها.. فعلت الخير مع الفقراء. وأثناء عودتها تعرضت لحادث سيارة وماتت رحمها الله. وبعد وفاتها وُجد في سيارتها ورقة كتب عليها كل قرش أخذته وأين صرفته.. كأنها تبرىء ذمتها أمام الله ﷻ.

يا إخوتي.. الروح هذه ليست لنا.. إنها لله، هو مالكها يقبضها حين يشاء، ألا تخشى أن يقبض الله روحك وأنت تقوم بالمعصية؟ اللهم تب علينا يا أرحم الراحمين. وتخيل لو أخذ روحك وأنت في قمة قربك منه.. في رمضان. ويُعلِم الناس من بعدك أنه راضٍ عنك.. اعملوا يا إخوتي لمثل هذه الساعة. وتخيروا المكان والزمان التي ستقبض روحكم فيها.

نظرة الإسلام للإنسان «بعين التوسط والتوازن»:

وتأمّل معي كيف أن الإسلام ينظر لنا بعين التوازن التام، فأنت ضعيف نعم لكنك مكرَّم. وقارن بين نظرة الإسلام لك كإنسان ونظرة الغرب.. الغرب يقول: إنك حيوان ناطق، وإنك حشرة رديئة في مزبلة التاريخ. ونظرته النقيضة للنّظرة التي تعظم الإنسان وتمجده إلى أبعد حدود، ولا تتخطّى العظمة هذا المخلوق الضعيف. أما نظرة الإسلام فهي نظرة التوسط بين الاثنين.

أنت مخلوق من طين، لكن فيك شيء مخلوق من تراب وماء، ومن نفخة من روح الله تبارك وتعالى.

فمن كرَّمك أكثر؟ قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: 29]، أم نظرية داروين؟

من كرَّمك أكثر، الذي قال: إن جدك كان (شمبانزي) أو (غوريلا) أم الذي قال: بأن جدك كان آدم الذي سجدت له الملائكة؟ هذه نظرة الإسلام لك.

وإن خير ما يرشدك إلى هذا التكريم قول الله ﷻ في سورة «التين»: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: 4]، فما علاقة القسم بالتين والزيتون وطور سينين؟

التين والزيتون: يرمزان إلى فلسطين.

والطور: ذلك الجبل المقدس الذي نادى الله موسى عليه السلام من عليه.

وهذا البلد الأمين: يُقصَد به مكة.

فلسطين، جبل الطور ومكة: أقدس وأطهر ثلاثة أمكنة على الأرض. يقسم الله بهم جميعاً أنك خُلِقت في أحسن تقويم على الإطلاق، فأنت طاهر كطهارة هذه الأمكنة التي أقسم الله بها، لا إله إلا الله، أرأيت كيف هي النظرة إليك؟

والآن نعود لخلق آدم، منذ نُفخت فيه الروح، يقول النبيّ ﷺ: **«ما من يوم طلعت عليه الشمس خير من يوم الجمعة، فيه خلق الله آدم، وفيه أُهبِط إلى الأرض، وفيه تاب الله عليه، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، وفيه تقوم الساعة»**[1].

ويخبر الرسول ﷺ أن يوم الجمعة فيه ساعة لا ترد فيه مسألة، أي: فيه ساعة إجابة. **«فيه ساعة إذا وافقها عبد مؤمن يدعو الله استُجيب له»**[2].

ومن العلماء من يقول: هذه الساعة هي بعد العصر لماذا؟ لأن الله خلق آدم عصر يوم الجمعة.

ننتقل الآن إلى هذا الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30]، في الأرض.. نعم في الأرض. فهذه أول آية في سورة «البقرة» تكلمت عن خلق آدم. إذن هو منذ البداية مخلوق لعمارة الأرض، والدليل أن اسمه آدم،

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 1974)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 488).
(2) أخرجه البخاري في (الحديث: 935)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 1966).

وآدم من أديم الأرض، مما يدل على أن المعلومة التي تفشت بين الناس بأن سبب وجودنا على الأرض هو خطيئة آدم إنما هي معلومة خاطئة، لذا فنحن على الأرض سواء كانت هذه الخطيئة أو لم تكن، إلا أن الله يسبِّب الأسباب.

ولكن لماذا أسكن الله ﷻ آدم الجنة من قبل؟ أسكنه الجنة ليقول له هذه بلدك، هذا موطنك، وسترجع وتعود إلى هنا من جديد أنت وأولادك، احلموا بمكان عودتكم. فلا تقل بلدي المنصورة أو طرابلس أو..أو.. بل قل: بلدي هو الجنة موطن أبي آدم.

وبالتالي ليست المعصية هي سبب خروج آدم من الجنة. وحكاية الشجرة وإبليس والأكل منها، كانت بمثابة أمر مقدَّر من الله ﷻ. وعِظة لما سيأتي على سيدنا آدم في الأرض، فالشجرة المحرمة ستتكرر بعدة أشكال في الأرض: في زجاجة خمر، أموال حرام، ربا، امرأة عاصية. الطريقة ذاتها التي استعملها إبليس مع أبيك آدم، سيستعملها معك في حياتك اليومية. فلا تطع الشيطان، إن الشيطان لك عدواً مبيناً وأطع الله إنه بك رؤوف رحيم.

ويعدُّه الله ﷻ ليكون خليفة على الأرض، ويُعَرِّفه على سائر الكائنات.. يا آدم، هذا الصديق اسمه: الملائكة. وهذا العدو: اسمه إبليس فتعرَّف على كل واحد منهم قبل نزولك الأرض. أترى كم هي خطيرة قصة البداية؟

وقد يسأل سائل: ولِمَ لم نخلق في الجنة ونبقى بها دون هذا العناء كله؟ لأن الحكمة أن الله خلقك لمهمة ولا بد من تأديتها لله ﷻ، فأنت خليفة الله على الأرض. فالله طلب منك أن تصلح

الأرض، دون الملائكة والشياطين والجان وسائر المخلوقات..

مع أن الملائكة طلبت هذه المهمة لله ﷻ، ويأبى الله إلا أن يسلمك إياها. ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30]. وكذلك إبليس: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص: 76].

لكن الله اختارك أنت.. أنت يابن آدم، لماذا؟ لأن العجينة التي خُلقت منها قائمة على مبدأ أنك لا بد أن تبتعد عن الشيء حتى تشتاق إليه وتشعر بقيمته.

فلو أنك حصلت على الأشياء دون عناء أو جهد، فإنك لن تشعر بالقيمة الحقيقية لها.

لذلك تعب الدنيا، مقاومة الشهوات، الصيام والتراويح، والوقوف بين يدي الله تعالى، كل ذلك حتى تستشعر حلاوة الجنة. فتخيل لحظة دخول الجنة بعد انقضاء تعب الدنيا.. الله... ما أجمل هذه اللحظة! اللهم أنِلْنا إياها يا رب. فمن برأيك سيشعر بمتعة النظر لوجهه الكريم؟ بالطبع الذي جاهد في هذه الدنيا وبكى من خشية الله.

والآن نختم بهذا الحديث الجميل الذي يؤجج الشوق في صدرك ويشعرك بحلاوة معنى النظر لوجهه الكريم: ينادي الله أهل الجنة بعدما أخذوا أماكنهم وارتاحوا من عناء الدنيا: **«يا أهل الجنة أرضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى يا رب وقد ابيضت وجوهنا وأدخلتنا الجنة، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة لكم شيء آخر،**

فيقولون: وما هو؟ فينادي المنادي: يا أهل الجنة، إن الله تعالى يستزيدكم، فيقول: هي على زيادة الرحمٰن..». فيُنصَب لهم مكانٌ من نور، منابر من نور، منابر من ذهب، منابر من فضة، فبينما هم كذلك يشرق لهم نور من فوقهم فيظنون أنه الله تبارك وتعالى، فيقال: لا بل هو نور إقبال الله تبارك وتعالى، فيناديهم الله تبارك وتعالى: **«يا أهل الجنة، سلام عليكم، فيقولون: اللهم أنت السلام، ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيقول الله تبارك وتعالى: يا أهل الجنة أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب في الدنيا ولم يروني؟»** فيرفعون أيديهم، فيقول الله تبارك وتعالى: **«يا أهل الجنة، اليوم يوم المزيد، فاسألوني يا أهل الجنة»**، فيتفقون على كلمةٍ واحدة، ارض عنا يا رب، فيقول الله تبارك وتعالى: **«يا أهل الجنة، لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي، فاسألوني شيئاً آخر»** فيتفقون على كلمة واحدة: **«أرنا وجهك ننظر إليك»**، فتكشف الحجب، فينظرون إلى الله ﷻ فما أعطوا لذة منذ خلقوا أحب إليهم من النظر إلى وجه الله ﷻ، ويذهبون إلى الجنة، وما منهم أحد إلا ويحاضره الله تبارك وتعالى منفرداً، **«عبدي أتذكر ذنب كذا؟ أتذكر ذنب كذا؟»** فيقول: **«يا رب، ألم تغفر لي؟»** فيقول: **«نعم بمغفرتي بلغت منزلتك هذه، تمن يا عبدي واشته فقد بذلت إلي في الدنيا فلن تتمنى شيئاً اليوم إلا أعطيتك إياه»**، فيتمنى العبد ويتمنى ويتمنى حتى إذا انقطعت به الأماني قال له الله تبارك وتعالى: **«إنك نسيت أن تتمنى كذا وتتمنى كذا»**[1].

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 6549)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 7070)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2555).

خليفة الله على الأرض

قال الله ﷻ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30].

هذه الآية مهمة جداً، إنها تخبرك لماذا أنت موجود على الأرض، لماذا خُلِقت، وما هي مهمتك فيها. هذا مغزى قصتك في الحياة، مهمة يجب أن تؤديها. تجد الكثير في بلاد الغرب ينتحرون، لأنهم لا يفهمون أنفسهم. والكثير من شبابنا في العالم العربي من يصيبه اكتئاب نفسي؛ لأنه يشعر بأنه غريب، إنه لم يفهم معنى هذه الآية.

صدقوني يا إخوتي، هذا الآية خطيرة جداً. فأنت لو فهمت هذه الآية ستشعر بأنك إنسان جديد، وتقول: نعم، الآن فهمت كل شيء، قصة البشرية، قصة الكون.. افهم واعقل هذه الآية التي ستدرس سَيْرك في الحياة، وتحدد طريقك فيها بدل أن تكون تائهاً لا تدري أين الدواء وأين السبيل، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، أول قصة في المصحف، في سورة البقرة أتت لتتكلم عن مهمتك. الخليفة هو الوكيل، الخلافة هي الوكالة. ما معنى هذا الكلام؟ معناه: أن ينوب فلان عن فلان بإدارة أمر من الأمور، كأن الله تعالى يقول لك: أوكلت إليك مهمةً فأدِرها ولكن على طريقتي ووفق مرادي، والخلافة أن توكل فلان بالإدارة، فأنت

تسمع ما يقال: فلان خلَّف، ماذا يعني هذا؟ يعني: أنه خَلف من يستأمنه على ماله وعلى عرضه من بعده.

والخلافة في هذه الآية خلافة عن من؟ خلافة عن الله، الله... هل تشعر معي بهذا المعنى؟ خلافة عن الله؟ نعم خلافة عن الله، تدير له الأرض وفقاً لمراده ومنهجه الذي يريده.

هل ترى أعظم من تلك المسؤولية؟ أشعرت الآن بتكريمك؟ تقل لي: مهمات كبيرة، شمس عظيمة، أقول لك: أنت، أنت مسؤول عن الأرض.

إذن خلافة تعني: الإنابة والوكالة. عن من؟ عن الله ﷻ مدبر هذا الكون كله. أين؟ في الأرض.

من يخاطب الله تعالى في هذه الآية؟ يخاطب الملائكة يقول لهم: إنه سيخلق آدم ويهيئه ويعدُّه لإدارة الأرض بأمره، والله أنت عظيم الشأن أيها الإنسان. استشعر معي حلاوة التكريم الذي كرمه الله لنا.

من أجل ذلك نفخ فيك من روحه، من أجل ذلك أمر الملائكة بالسجود لك، من أجل ذلك رفض إبليس أن يسجد لك، لأنه كان يطمع في الخلافة، كان يطمع أن يكون هو الخليفة.

هل بدأت تفهم؟ إذن هناك مستخلِف: ألا وهو الله ﷻ. ومستخلَف: وهو أنت أيها الإنسان. الإنسان، بغض النظر عن عرقه ودينه أياً كان. الإنسان عموماً وليس المسلمون خصوصاً. وهناك مستخلَف فيه: ألا وهي الأرض.

هل بدأت تشعر بمعنى: «**كان الله وحده**».

أتُقطِّع الوكالة وتقول: لا، بل أديرها كما أريد؟ وأنت وكيلٌ أصلاً في هذه الأرض، استيقظ من غفلتك، اصح أيها الإنسان.

والآن ما هو دورك في الأرض كخليفة، دورك محصور في مهمتين:

1 ـ عمارة الأرض، تنمية وتكنولوجيا: علم.

2 ـ إصلاح الأرض، خير وعدل، نبذ الظلم والقسوة. هداية الناس.. إظهار الحق: إصلاح.

إنه السر الذي خلق الله البشرية لأجله، مهمتين:

علم، وإصلاح.

فهل تفعل هاتين المهمتين؟

يا متعلم، يا أُمّي، يا عامل، يا بسيط، يا غني، هل تقوم بهذه المهمة؟ انها مهمتك الاصلية. وتذكّر، انك كلما بذلت أكثر، كلما ارتفع شأنك أكثر، هذا هو سر خلقك، تصوّر!

قد تقول: هناك آية في القرآن تقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: 56]، أقول: وإن قمة العبادة أن تحقق الذي خُلِقت لأجله.

وأنت لم تُخلَق للصلاة وللصيام فقط، ولكن الناس اعتادت أن تحصر فكرة العبادة بهاتين الفريضتين، لكن أليس العلم عبادة؟ أليس

هداية الناس عبادة؟ أليس العمل عبادة؟ أليست الابتسامة في وجه أخيك عبادة، كما أخبر الرسول ﷺ بذلك؟ هذه هي الخلافة.

فلو كان المقصود من: «يعبدون»: الصلاة والصوم فقط، لوجب عليك ترك كل أمور الحياة، وتتفرغ ليلاً نهاراً للصلاة والصوم فقط. وهذا مستحيل..

وأنت تعلم أن التناقض في القرآن الكريم محال على رب العالمين. فلو اكتشفت ونوَّرت العقول، ونشرت العلم، وحققت الخير وحكمت بين الناس بالعدل، ونبذت الشر، تكون بذلك قد وصلت إلى قمة العبادة التي خلقك الله لأجلها.

والصلاة والصوم مهمتهم تقوية الروح على أداء هذه الخلافة. فأنت لن تتقوى في الخلافة وتأدية مهماتها إلَّا إذا صليت حق الصلاة وصمت حق الصوم؛ لأنهما غذاء الروح، والخلافة أو المهمة التي خُلقت لأجلها تستدعي أن تكون قويم الجسد والروح معاً.

فكما قلنا: إن الطعام غذاء لجسدك لتتقوى به على الطاعة، كذلك الصلاة والصوم غذاء للروح لتتقوى بهما على أداء حق الخلافة.

وليس كل عابد خليفة، أتفهم قصدي؟! ليس لك أن تقول: لقد صليت وصمت وها أنا قد أديت دوري في الحياة، لا.

فالخليفة فهو من يقوم بمسؤولية الأرض كما يجب أن تكون.

كانت النفخة الإلٰهية التي بثها الله سبحانه وتعالى في آدم، هي السر العظيم الذي مكّنه من إدارة الأرض وجعله خليفة. فالملائكة تصلي وتصوم، ولكن الله نفخ في روحك أنت، أعطاك الصفات التي تجعلك خليفة في الأرض.

والعبادة جميعها يجب أن تكون خالصة لله تعالى حتى تكون وكيلاً، أنت لم تخلق حتى تطعم أولادك فقط، بل خلقت لِتُعَمِّر الكون، وتصلح الكون، وتهذب الكون، ويجب أن تتعبد الله بنية خالصة حتى تقوى على هذه المهمة.

لا تقل: أنا عاجز، لا تقولي: إني امرأة عجوز، لا أستطيع أن أفعل شيئاً، والله أنتم مسؤولون عن الأرض.

مطلوب منك نشر الخير، منع الظلم قدر استطاعتك، هداية الناس، تنمية الأرض، وتكنولوجيا وعلم.

وجميع الكتب التي أنزلت، وجميع الشرائع كلها لماذا؟

كلها مرجع لهذا الخليفة، يرجع إليها كلما ضل الطريق على مر الزمان.

حدث أني كنت أصلي في أحد المساجد، وكانت آيات الإمام التي كان يؤم بها، آيات المواريث والزواج والطلاق، فوجدت شاباً خلفي يبكي ويتنهنه، وعندما انتهى سألته عن بكائه قال لي: وجدت الآيات تتكلم عن زواج وطلاق فلم أخشع، فصرفت ذهني لأشياء أخرى فكرت فيها حتى خشعت وبكيت، فهل هذا جائز؟ فقلت له:

كلا، إن الله يريدنا أن نعبده بهذه الآيات، يجب أن نسمع ونعقل ونخشع... أنت خليفة، الآيات تتكلم عن العلاقات الدولية، وتقول: وما شأني بذلك؟ أنت خليفة، هذا قرآنك ليست القضية أن تصلي وأنت تبكي وانتهى، اسمع وتعلم كيف ستعيش حياتك. كيف ستدير أمورك، كيف ستنصح غيرك، وتهديه إلى الخير إن ضلَّ واهتديت.

هل علمت الآن المقصود من حديث النبيّ ﷺ: **«إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليفعل»**[1].

لم يقل: ارمها وصلِّ ركعتين وقل: يا رب تبت إليك الآن. بل قال: **«فليغرسها»** لماذا؟ لأنك خليفة، أنت خُلِقت من أجل ذلك.

وحديث الرسول ﷺ: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية»**، من أجل التنمية والمال والاقتصاد، **«علم يُنتَفع به»**، من أجل إعمار الأرض ودوامها، **«ولدٌ صالح يدعو له»**[2]، حتى تنجب جيلاً جديداً ليكون خليفة الله في الأرض. كل واحدة من هؤلاء هم عملك الأساسي كخليفة في الأرض.

---

(1) أخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 3/ 184)، و(الحديث: 3/ 191).

(2) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 4199)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 1376)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 3653).

وانظر الحديث الآتي: «**سبعة يظلهم الله بظلّه، يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادلٌ**»[1]، من أجل أن تستمر الحياة بشكل صحيح، والإمام هو الأستاذ، هو القاضي، هو كل واحد منا يا إخواني. وأول شيء يظلك الله به بعرشه هو العدل... أرأيت؟

أول ما تُسأل عنه يوم الحساب من العبادات: الصلاة، تقول: صليت. هل أديت مسؤوليتك في الحياة؟ نشرت العلم؟ الدين؟ عدلت؟ نشرت الخير؟ مسؤوليتك ليست مسؤولية الملائكة ولا الجان ولا الجبال ولا البحار، بل مسؤوليتك أنت. قال عليه الصلاة والسلام:

«**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله مما اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا فعل به**»[2].

ماذا فعلت في عمرك؟ ماذا أديت في مرحلة شبابك؟ ومرحلة الشباب مهمّة لأنها مرحلة الإنتاج، والمال الذي اكتسبته كان حلالاً أم حراماً؟ والعلم الذي تعلمته، علمته لغيرك أم تكبرت به على الناس؟ الخلافة هذه أعظم تكريم من الله تبارك وتعالى. فالحمد لله الذي جعلنا خلائف الأرض من دون سائر المخلوقات.

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 660)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 2377)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2399)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 2/ 439).

(2) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2417)، وأخرجه **الدارمي** في (الحديث: 1/ 135).

وتأتي بعد هذا وتقول: أريد أن آكل وأشرب وأعيش لأولادي فقط، إذن لم تفهم بعد معنى الآية الكريمة.

يا اخواني، عندما تخرجت، كانت امنيتي ان اعمل في احسن شركة محاسبة في مصر، فقيل لي: كي تعمل في هذه الشركة يجب ان تتدرب جيداً، فسافرت سنة اتعلم، ورجعت وعُيِّنت في هذه الشركة، ويومها كانت فرحتي كبيرة جداً جداً. فتفيل نفسك وانت تدبر ما اراده الله بامره.

انظر قول الله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾ [الشمس: 1 ـ 6]، وبعد ذلك... ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: 7 ـ 10]، بعد ذلك يروي قصة أناس استخلفوا في الأرض فأهلِكوا: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١﴾ [الشمس: 11].

فلا تفشل انت كما فشلت ثمود وغيرها وغيرها حتى لا تهلك، فهل ادركت معي الآن ان الهلاك لا يأتي الا بعد الفشل في المهمة فارجوك لا تفشل، لا تفشل.

أعرفت ما أصل العداء بينك وبين إبليس الآن؟

يريد أن يزاحمك على الخلافة حتى يأخذها منك ويقول: إن عبدك ابن آدم غيرُ أهل لها يا رب، لذا عليك أن تصلح وتثبت له عكس نظريته ولا تنوِّله مراده.

هذه الخلافة التي تمنتها الملائكة أيضاً، ألم تر قولها: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ [البقرة: 30]، فماذا ردّ عليهم رب العزة تبارك وتعالى؟ ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾، بل وأسجدهم سجدة تسليم للخلافة التي اختارها ـ الله ـ لعبده ابن آدم.

سجدوا كلهم أجمعين، حتى جبريل وميكائيل وملك الموت تسليماً لهذه الخلافة.

أأدركت وظيفتك الآن؟ ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: 75]، أعرفت لماذا سخّر لك الحيوانات والدواب؟ أعرفت لماذا سخّر لك هذا الكون؟ الشمس والقمر والليل والنهار كله مسخّر لخدمتك أيها الإنسان المكرم عند خالقك، اعرف هذا المعنى جيداً.

أرأيت كيف يكرم الله من يحب؟ تفضيل... من تراب وبعد قليل يسجد لك ملك.

للأسف يا إخوتي غفل الإنسان عن وظيفته على مر الدهر، انظر الناس اليوم، عرفوا عمارة الأرض، نعم عمروها؛ تطور وتنمية وتكنولوجيا لكن...

وأناس غيرهم يا مسلمين، تركوا عمارة الأرض والتطور والتكنولوجيا، وعكفوا على الصلاة والصوم، ظنوا أن هذا هو الدين فقط.

ابكِ على العمر الذي أفنيته وأنت لست خليفة، ابكِ على العمر الذي فاتك وأنت غافل عن مهمتك. هناك شاب فَتِيّ اسمه إبراهيم بن أدهم، كان يصلي ويصوم إلا أن شغله الشاغل كان الركوب على الفرس والتنزه عليه، فأتاه مرة شيخ عجوز أمسك فرسه وقال له: يا إبراهيم، ألهذا خُلِقت؟ أم بهذا أمِرت؟ فقال: يا شيخ، أنا أصلي، قال: يا إبراهيم، الأمر أعظم من ذلك، ماذا فعلت لله في إصلاح أرضه؟ فتحوَّل إبراهيم بن أدهم الرجل العابد الزاهد في الكون إلى رجل همه أن ينشر الدين في الأرض ويقول الحق.

أخي المسلم، لقد تكفَّل الله برزقك: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 22]، لا تخف على مالك، لا تخف على رزقك، لا تخف على أولادك، فالنبيّ ﷺ يقول: **«إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها»**[1].

فالرزق مضمون، والعمر لن ينقص دقيقة، اعمل، اعمل لآخرتك.

انظر الحديث القدسي: **«ابن آدم خلقتك لنفسي، وتكفلت لك برزقك، فكن لي، فإن طلبتني وجدتني وإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتني فُتُّك وفاتك كل شيء»**[2].

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ

(1) أخرجه المنذري في «الترغيب والترهيب» (الحديث: 2/ 534).
(2) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 5/ 167).

﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: 72].

ومتى يكون الإنسان ظلوماً جهولاً؟ عندما يترك الأمانة، لأنه عند ذلك يكتب الذل عليه وعلى أولاده، ويسلط عليه من لم يرض أن يكون الخليفة.

وماذا أيضاً؟ يستبدلك: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود: 117].

كيفية تأهيل آدم للخلافة

1 ـ قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]، أي: القدرة على الفهم، لتستنتج وتحلل وتفكر وتَصِلْ.

2 ـ قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: 29]، أي: أعطاه الصفات العظيمة التي يصلح أن يكون بها خليفة على الأرض.

3 ـ الموازنة بين الجسد والروح فيك، فالروح تربطك بالوكيل، والجسد يجعلك تعمّر الأرض.

4 ـ المعرفة بالكائنات من حولك: من ملائكة وجان وسمٰوات وحيوانات وشمس وقمر وهواء..

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا

سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

[البقرة: 31 ـ 33]، فاعمل أخي منذ الآن وابدأ بتدوين كل ما تريد إصلاحه في حياتك وقل: سأصلح اليوم في حياتي هذا، وذاك، أنا مُلكٌ لله، لقد عرفت هدفي في الحياة اليوم، عرفت وظيفتي ولن أضل من جديد أبداً، يا رب.

وأخيراً كن مثل الصحابي العظيم: عبد الله بن جحش ﷺ حينما قال: اللهم إني أسألك أن تُقطع أذني ويجدع أنفي ويبقر بطني، فآتيك يوم القيامة فتقول لي: ما هذا يا عبد الله؟ فأقول: فيك يا رب، حينها ستكون حي لله وحده. يا إخوتي نحن خُلِقنا لأجل ذلك.